غزوة بني النّضير

لما أخبر «عمرو بن أمية الضمري» رسول الله ﷺ بقتل رجلين بعد منصرفه من بئر معونة، قال له رسول الله ﷺ: (لقد قتلت قتيلين لأَدِيَنَّهُما). وقيل: إن «عامر بن الطفيل» كتب إلى النبي ﷺ كتاباً جاء فيه: إنك قتلت رجلين لهما منك جوار وعهد، فابعث بدِيتهما.

فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم في دِيةِ ذَيْنِك القتيلين وبصحبته نفر من كبار المهاجرين والأنصار، فيهم «أبو بكر» و«عمر» و«علي» و«أُسَيْد بن حُضَيْر»، وذلك للجوار الذي كان رسول الله ﷺ قد أعطاهما إياه. فلما كلمهم رسول الله ﷺ في أمر الديَة، قالوا: نعم، يا أبا القاسم! نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه ـ يريدون اغتنام فرصة جلوس رسول الله ﷺ إلى جَنْب جدار من أحد بيوتهم قاعداً، فتهامسوا فيما بينهم وقالوا: من يعلو سطح هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه؟ فقال أحدهم ويدعى «عمرو بن جحاش بن كعب»: أنا لها.

وكان رسول الله ﷺ بين أصحابه الذين ذكرتُ، فأرسلت السماء سفيرها «جبريل» عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ بمؤامرة يهود للفتك به، فقام من المكان، وقال لأصحابه: (لا تبرحوا حتى آتيكم)، وقفل عائداً إلى المدينة. فلما رأى الصحابة أن رسول الله ﷺ تأخر عليهم، قاموا يطلبونه، فلقيهم رجل آتٍ من المدينة، فسألوه إن كان رسول الله ﷺ قد مرَّ به، فردَّ عليهم بقوله: رأيته يدخل المدينة، فانطلق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في إثره، حتى انتهوا

إليه، فأخبرهم بما كانت تريد يهود أن تفعل به من الغدر، ثم أمر رسول الله ﷺ بالخروج إليهم. ثم سار بالناس حتى إذا علمت يهود بمسيره دخلوا حصونهم وتحصنوا فيها، فلما رأى ذلك أمر أصحابه بقطع النخيل وتحريقه. فنادوه من مخابئهم: يا محمد! قد كنت تنهى الناس عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بالك تقطع النخل وتحرقه؟

وكان أحدهم ويدعى «سَلاَّم بن مِشْكَم» قد نهاهم عن تنفيذ مُؤامرتهم الخبيثة، وخَوَّفهم الحرب، وأنبأهم بأنه يعلم ما يريدون منه، ولكنه عصوه وصمموا على المضي فيما عزموا عليه من قتله، حتى إذا صَعِدَ «عمرو بن جحاش» ليدحرج الصخرة عليه، كان الوحي أسبق منه، فأتى النبيَّ ﷺ وحذَّره مما بيّتوا، حتى يبرح المكان الذي كان يقعد فيه.

ولما غادر مكانه، وكأنه يريد قضاء حاجة، أبطأ على أصحابه، فقاموا في طلبه، وجعلت يهود تقول: ما حبس أبا القاسم؟ قال أحدهم ويدعى: «كنانة بن صوريا»: لقد أتاه الخبر بما كنتم تريدون. وجاء الصحابة فرأوه في المسجد، ثم أخبرهم بتحذير الله إياه مما تريد به يهود. وقال: (ادعوا لي محمد بن مسلمة) فلما أتاه «محمد بن مسلمة» قال له: (اذهب إلى يهود فقل لهم: اخرجوا من بلادي، فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به من الغدر).

وامتثل «محمد بن مسلمة» أمر رسول الله ﷺ، فجاءهم، وقال لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تظعنوا[1] من بلاده. فقالوا: يا محمد! ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس! فردَّ عليهم بقوله: تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهود، فقالوا: تتحمَّل. وحين علم رأس المنافقين وأشقاهم، «عبد الله بن أبي ابن سلول» بأمرهم، أرسل إليهم يقول: لا تخرجوا، فإن معي من العرب، وممن انضوى إليَّ من قومي أَلْفَيْن، فأقيموا وهم سيقفون إلى جانبكم ويكونون معكم، وكذلك قريظة ستدخل معكم.

(١) تظعنوا: ترحلوا.

وعلم «كعب بن أسد» صاحب عهد بني قريظة بما يجري، فقال: لا ينقض العهد من بني قريظة رجل وأنا حيٌّ.

والتفت «سَلاَّم بن مِشْكَم» إلى «حُيَيِّ بن أَخْطَب» وقال: يا حُيَيُّ! اقبل هذا الذي قال «محمد»، فإنما شَرُفْنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شر منه، قال حُيَيٌّ: وما هو شر منه؟ قال: أخذ الأموال، وسبي الذرية، وقتل المقاتلة. فأبى «حُيَيٌّ» ما عرضه «ابن مِشْكَم» عليه، ثم دعا «جُدَيَّ بن أخطب»، وأمره أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ويخبره أنا لن ندع دارنا فاصنع ما بدا لك!. ولما أخبر «جُدَيٌّ» رسول الله ﷺ بقول «حُيَيِّ بن أخطب» كبَّر رسول الله ﷺ وكبَّر المسلمون معه، وقال: (حاربت يهود).

وانطلق «جُدَيٌّ» إلى «عبد الله بن أبي» يسأل المدد، فرآه جالساً في نفر من أصحابه، ومنادي رسول الله ﷺ ينادي بالسلاح.

يقول جُدَيٌّ: رأيت «عبد الله بن عبد الله بن أبي» وأنا عنده، قد دخل وأخذ السلاح، ثم انطلق يعدو به، فلما رأيت ذلك أيست من معونته، ثم جئت «حُيَيًّا» فأعلمته بما كان، فردَّ بقوله: هذه مكيدة من «محمد»، وزحف إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمسة عشر يوماً، حتى صالحوه على أن يحقن لهم دماءهم، لقاء تخليهم له عن أموالهم وسلاحهم. وأن يسيِّرهم إلى أَذْرِعات الشام، ويجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء.

وفي حديث محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: قاتلهم رسول الله ﷺ حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، على أن لهم ما أقلَّت[1] الإبل من شيء إلا الحَلْقة ـ والحَلْقة: السلاح.

ثم إنهم احتملوا ما استقلَّت الإبل من أموالهم، حتى وضعوا نُجُف[2] الأبواب على ظهور الأبعرة، وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

---

(١) أقلَّت: حملت على ظهرها.

(٢) النُّجُفُ جمع نِجَاف، ككتب وكتاب، والنجاف: العتبة بأعلى الباب، والأسْكُفَّة: العتبة التي بأسفل الباب.

وسار أشرافهم: حيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، وسلاَّم بن أبي الحُقَيْق إلى خيبر، فلما وصلوها دان لهم أهلها، ورحَّبوا بهم أيَّما ترحيب! وخلَّفوا وراءهم الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت له خاصَّة يضعها حيث يشاء، فقسمها بين المهاجرين دون الأنصار، إلا أن «سهيل بن حُنَيْف» وأبا دُجانة، سماك بن خَرَشَة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ. وأسلم من بني النضير رجلان هما: يامين بن عمير بن كعب، ابن عم عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وَهْب، أسلما على أموالهما فأحرزاها.

وقال ابن إسحاق في السيرة[1]: حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: (ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك، وماهَمَّ به من شأني؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له «عمرو بن جحاش»، فقتله فيما يزعمون.

وأنزل الله تعالى في بني النضير سورة الحشر بأسرها، وذكر فيها ما نالهم من نقمته، بعد أن كفروا بنعمته فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢] إشارة إلى هدمهم بيوتهم، واحتمالهم نُجُف أبوابهم، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ من نقمة الله عليهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ بالسيف ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ مع ذلك ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ واللينة خلاف العجوة من النخل ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: قطعت بأمر الله، لم يكن فسادا لأن الله تعالى لا يأمر بالفساد ولا يحب المفسدين، ولكن كان نقمة من الله عليهم ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٢، ٣، ٥]. ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ [الحشر: ٦] قال ابن إسحاق: يعني من بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ[2] عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ

(١) سيرة ابن هشام: (٣/٢١٣).
(٢) أوجفتم: حركتم وأتعبتم في السير.

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦] أي: له خاصة. ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧]. قال ابن إسحاق: ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين، على ما وضعه الله عليه، ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [الحشر: ١١] يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحشر: ١١] يعني بني النضير، إلى قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: ١٥] يعني بني قينقاع، ثم القصَّة، إلى قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦ـ ١٧].

وكانت تلك الغزوة في ربيع الأول من سنة أربع للهجرة المباركة.

وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير[1] وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خزيت بغدرتها الحُبُورُ ... كذاك الدهر ذو صَرْف يدورُ
ودلك أنهم كفروا بربٍّ ... عزيزٍ أمره أمرٌ كبيرُ
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً ... وجاءهم من الله النَّذيرُ
نذيرٌ صادقٌ أدَّى كتاباً ... وآياتٍ مُبَيِّنةً تُنيرُ
فقالوا ماأتيت بأمر صدقٍ ... وأنت بمنكر منَّا جَديرُ
فقال بلى لقد أديْت حقًّا ... يصدقني به الفَهِم الخبيرُ
فمن يتبعه لكل رُشْدٍ ... ومن يكفرْ بهِ يُجْزَ الكفورُ
فلما أشربوا غدراً وكفراً ... وحاد بهم عن الحق النُّفورُ
أرى اللَّهُ النبيَّ برأي صِدقٍ ... وكان الله يحكم لا يجورُ

(١) انظر سيرة ابن هشام: (٣/٢٢٠).

فـأيَّـده وسـلَّـطـه عـلـيـهـم وكـان نـصـيـرَه نـعـم الـنـصـيـرُ
فـغـودر مـنـهـم كـعـبٌ صـريـعـاً فـذلَّـت بـعـد مـصـرعـه الـنـضـيـرُ

وهناك أشعار كثيرة حول غزوة بني النضير لا يتسع المقام لذكرها.

إن حال اليهود في كل زمان ومكان، له ضروب وأشكال وألوان، تدور كلها حول الخيانة والغدر والعدوان، ينكرها كل عاقل من بني الإنسان. ومن ينسى ما فعلوه بأنبياء الله وبخاصَّةٍ «موسى» و«عيسى» و«محمد» عليهم صلوات الله وسلاماته إلى آخر الزمان! وهل يرجى الخير ممن لعنهم الديان، في أحكم تنزيل هو القرآن؟ فلا يغترَنَّ أحد بإخوان الشيطان، فهم من نبعه يستقون، وسيلقون ظلمهم أمامهم، وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون!.

obeikandl.com